

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى



سعد بن
أبي وقاص

فانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٢

سعدُ بنُ أبي وقاص

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيدة لؤلؤة السحار زركاة
شارع كامل صدق - الفيحة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

سعد بن أبي وقاص

راحتِ الأمُّ توقِظُ حُسامًا من النومِ : استيقِظْ
يا حُسامُ حتّى نذهبَ لنزورَ خالتك المريضة .

ردّ عليها حُسامٌ متكاسلاً : دعيني أنمّ يا أمّي ، فقدَمي
تُؤلِمُنِي ولا أَسْتَطِيعُ أنْ أَمْشِيَ عَلَيْهَا .

قالتْ له أمُّه : لا تَكُنْ كَسولاً يا حُسام . ألا تَعْلَمُ أنَّ
زِيارَةَ المريضِ واجِبَةٌ ، وأنها صَدَقَةٌ تُوجَرُ عَلَيْهَا ؟

قال حُسام : أَعْلَمُ يا أمّي ، ولكنَّ قَدَمِي تُؤلِمُنِي
حَقِيقَةً ، فَقَدْ التَوْتُ أَمْسٍ فِي أَثْناءِ لَعَبِي الكُرَةِ .

آه يا قَدَمِي ! آه يا قَدَمِي !

قالتْ أمُّه : لا تُبَالِغْ فِي الشَّكْوَى يا حُسام ، فَقَدِمُكَ
سَلِيمَةً ، أَتَعْلَمُ أَنَّكَ لا تُرِيدُ أَنْ تَزُورَ خَالَتَكَ المَرِيضَةَ ،
وَتَتَعَلَّلُ بِالْمِ فِي قَدَمِكَ ؟ فَمَا بِأَلْكَ بِمَنْ قَادَ مَعْرَكَةً فَاصِلَةً
فِي تَارِيخِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، بَيْنَمَا جِسْمُهُ يَنْزِفُ دَمًا

وصديداً !

قال حُسام : أحقاً ما تقولين يا أُمّي ؟ فمن يكونُ هذا

القائد ؟

قالت أُمّه : إنه البطلُ المَثابِرُ سعدُ بنُ أبي وقاص .

ترجّأها حُسام : هلاً حكيّت لي قصّته يا أُمّي ؟ احكِها

لي فأنا أحبُّ أن أسمعَها .

قالت أُمّه : كان سعدُ بنُ أبي وقاص من أخوالِ النَّبيِّ

— صَلَّى اللهُ عليه وسلّم — فهو من بني زُهْرَةَ أهلِ آمَنَةِ

بنتِ وهبِ أُمِّ النَّبيِّ ، وكان — صَلَّى اللهُ عليه وسلّم —

يَفْخَرُ بسعدٍ ويعتزُّ بقِرابَتِهِ . فذاتَ يومٍ وهو جالسٌ إذ مرَّ

سعدٌ به فقال — صَلَّى اللهُ عليه وسلّم — لأصحابِهِ : هذا

خالي .. فليُرِنِي امرؤُ خالِهِ .

قال حُسام : ومتى أسلمَ سعدٌ يا أُمّي ؟

فابتَسَمَت أُمّه وقالت : أسلمَ سعدٌ في وقتٍ مُبَكَّرٍ ،

فقد كانَ ثالِثَ ثَلَاثَةٍ أسْلَمُوا . ويقولُ عن نَفْسِهِ : لقد

أتى على يومٍ وإنى لثُلثُ الإسلامِ . أتعلمُ يا حُسامُ أنَّ
إسلامَ سَعْدٍ سَبَقَتْهُ رُؤْيَا رآها في المنامِ كانَ لها أكبرُ الأثرِ
في إسلامه ؟

قال حُسام : وكيفَ ذلكَ يا أُمّى ؟

قالت : قبلَ إسلامِ سَعْدٍ بثلاثةِ أيامَ ، رأى في نومِهِ أَنَّهُ
يَمْضى في طريقٍ شديدِ الظَّلامِ ، يَمْشى فيه مُتَخَبِّطاً
لا يَسْتَطِيعُ أن يَرى فيه أىَّ شَيْءٍ . إذ أنارَ له قَمَرٌ فجاءَ
فراحَ يَمْشى في نورِهِ ، فرأى بعضَ أَشخاصٍ يَمْشونَ
أمامَهُ ، فتعرَّفَ عليهم فإذا هم زَيْدُ بنُ حارثةَ ، وَعَلِيُّ بنُ
أبى طالبٍ ، وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ . فسألَهُم : منذُ متى وأنتم
ها هنا ؟ قالوا له : هذهِ السَّاعَةُ .

وعندما بزَغَتِ الشَّمْسُ في اليَومِ التَّالِي ، عَلِمَ أن
مُحمَّدَ بنَ عبدِ اللَّهِ جاءَ بدينٍ جَدِيدٍ ، يَنْبُذُ عِبَادَةَ
الأصْنامِ ويدعو لِعِبَادَةِ اللَّهِ الواحدِ الأحدِ ، وَعَلِمَ أنَّ
الثَّلاثَةَ الَّذِينَ رَأَوْهُمْ في رُؤْيَاهُ : زَيْدًا وَعَلِيًّا وَأبا بَكْرٍ ، قد

أَسْلَمُوا ، فَقَابَلَ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَأَسْلَمَ هُوَ الْآخَرُ .

وقد أسلم سعدٌ على يَدَي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وهو ابنُ
سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً . وكان إيمانُ سعدٍ عميقاً راسخاً
لا يَتَزَعَّزَعُ ، ظهرَ ذلك واضحاً عندما عَلِمَتْ أُمُّهُ بِخَبْرِ
إِسْلَامِهِ ، فهي تعرفُ كم يُحِبُّهَا سَعْدُ ، وكم هو رقيقُ
العاطِفَةِ بَارٌّ بها ، فحاولتُ أَنْ تَسْتَغِلَّ حُبَّهُ لها لِتُرُدَّهُ عَنْ
الإِسْلَامِ .

فقد صَامَتْ عَنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ
لِيَرْجِعَ سَعْدٌ عَنْ إِسْلَامِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ .
وجاءه بعضُ أَقَارِبِهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَرَى أُمَّهُ وَهِيَ تَتَلَوَّى
مِنَ الْجُوعِ ، عَسَى أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ لَهَا حِينَ يَرَاهَا ، وَلَكِنَّهُ
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لَهَا ، إِلَّا أَنَّ حُبَّهُ لِلَّهِ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَلِإِسْلَامِهِ كَانَ أَكْبَرَ وَأَشَدَّ .

فَقَالَ لَهَا بِقُوَّةِ إِيْمَانٍ : وَاللَّهِ يَا أُمِّي ، لَوْ أَنَّ لَكَ

مائة نفسٍ خرجتُ نفسًا نفسًا ، ما تركتُ ديني هذا
لشيء . فكلّى إن شئتِ أو لا تأكلِي .
فتأكّدتُ أمّه أنّه لا مجالَ لردّه عن الإسلام ،
فرجعتُ عن صومِها وتركتُه لحاله .

* * *

ولقد نزلَ في موقفٍ سعدٍ معَ أمّه قرآنٌ يؤيّد
فعلته ، فقالَ تعالى : ﴿ وإنْ جاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفَا ﴾ .

وكانَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحِبُّهُ حُبًّا
عَظِيمًا ، فدعا له : (اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ) ،
فكانتُ رَمِيَّتُهُ قَاضِيَةً ، وظهرَ ذلك في كثيرٍ من المَعَارِكِ الَّتِي
شَارَكَ فِيهَا . وكانتُ دَعْوَتُهُ كَذَلِكَ مُسْتَجَابَةً . فذاتَ يَوْمٍ
وهو بالسَّوقِ رَأَى رَجُلًا يَسُبُّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ ، فقالَ له :
أَتَسُبُّ صَحَابَةَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ إنْ لم

تَنَّتْهُ عَنْ ذَلِكَ دَعْوَتُ عَلِيكَ . فَاسْتَهْزَأَ بِهِ الرَّجُلُ وَقَالَ :
تُهَدِّدُنِي كَأَنَّكَ نَبِيٌّ ؟

قَالَ حُسَامٌ : وَمَاذَا فَعَلَ يَا أُمَيَّ ؟ هَلْ دَعَا عَلَيْهِ
حَقًّا ، وَهَلْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِ ؟

قَالَتْ أُمُّهُ : لَا تَتَعَجَّلْ يَا حُسَامُ ، فَسَاحِكِي لَكَ . نَعَمْ
يَا وَلَدِي دَعَا عَلَيْهِ .

وَقَبْلَ دُعَائِهِ تَوَضَّأَ وَصَلَّى لِلَّهِ ، ثُمَّ دَعَا قَائِلًا : اَللَّهُمَّ
إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَبَّ قَوْمًا سَبَقَتْ لَكَ مِنْهُمْ الْحُسْنَى ،
فَلَنْ كَانَ أَغْضَبَكَ فَاقْضِ عَلَيْهِ .

وَسُرْعَانَ مَا خَرَجَتْ نَاقَةٌ شَارِدَةٌ مِنْ أَحَدِ الْبُيُوتِ ،
مُتَّجِهَةً إِلَى السُّوقِ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ .. حَتَّى دَهَسَتْهُ
وَقَضَتْ عَلَيْهِ .

قَالَ حُسَامٌ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ !

قَالَتْ أُمُّهُ : لَا تَعْجَبْ يَا حُسَامُ ، لَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْتُ

لَكَ إِنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا لَه
بِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَحَدُ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

قَالَ حَسَامٌ : هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ !

قَالَتْ أُمُّهُ : ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ جَالِسُونَ ، إِذْ نَزَلَ الْوَحْيُ وَأَخْبَرَهُ
بَشَيْءٍ مَا ، فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ :
- يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

فَرَاخَ الصَّحَابَةُ يَتَلَفَّتُونَ وَيَبْحَثُونَ مِنَ الْمُبَشِّرِ بِالْجَنَّةِ ؟
فَإِذَا بِهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

وَلِحَرَصِ الصَّحَابَةِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهِ ، لِحَقِّ
بِسَعْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ
لَيْنَالِ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تُؤَهِّلُهُ لِدُخُولِ
الْجَنَّةِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ سَعْدٌ بِقَوْلِهِ :

- لَا شَيْءَ أَكْثَرَ مِمَّا نَعْمَلُ جَمِيعًا ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَهْمِلُ
لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضِغْنًا وَلَا سُوءًا .

ولم يَتَكَلَّ سعدٌ على هذه البُشرى فيكسلُ عن طاعةِ
اللهِ وعبادته ، بل زادتْه البُشرى هِمَّةً وحماساً ، ليكونَ
أهلاً للجنة الموعودة .

فكان في الغزواتِ فارساً مغواراً تجلَّتْ شجاعته في
كلِّ غزوةٍ غزاها . فيومَ بدرٍ شاركهُ هو وأخوه عُمَيْرُ ،
وكان عُمَيْرٌ لا يزال حدثاً صغيراً ، فردَّه — صلى الله
عليه وسلم — لصغيرِ سنِّه . ولكنَّه ظلَّ ييكى حتى رُقَّ
لُبكائه وأجازَه ، فانطلقَ الأخوانِ يُجاهِدانِ في سبيلِ الله
بشجاعةٍ وبسالة ، مُضَحِّينَ بكلِّ غالٍ ونفيسٍ ، حتى
استشهدَ عُمَيْرٌ واحتسبه سعدٌ عندَ الله .

ويومَ أُحُدٍ ، أتعلَّمُ ما حدثَ يومَ أُحُدٍ يا حُسام ؟
قال حُسام : طبعاً أعلمُ لقد كانَ النصرُ للمُسلمين ،
ولكن عصَى الرُّماةُ أمرَ الرُّسولِ — صلى الله عليه وسلم —
ونزلوا عن الجَبَلِ ، فغافلهم المُشركون ، وامتطوا الجبلَ
وأمطروا المُسلمينَ بوابلٍ من السَّهامِ والرِّماحِ زلزلتْ

كَيَانَهُمْ وَفَرَقْتَهُمْ .

قالت أمّه : عَظِيم ، وحين تفرّق المسلمون ، التفّ
عشرة من الصّحابة حول رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بأجسادهم ، وفتحوا صدورهم لتلقّي ضربات
العدوّ دفاعاً عنه . ووقف سعدٌ يدافع عن الرسول -
صلى الله عليه وسلم - بقوسه ، فكان لا يرمى رميةً إلّا
وأصابت من مشركٍ مقتلاً .

وحين رآه - صلى الله عليه وسلم - يرمى هذا
الرمي ، جعل يشجّعه قائلاً : ارم سعد ، ارم فداك أبي
وأُمّي . فظلّ سعدٌ طوال حياته يفتخرُ بقول الرسول -
صلى الله عليه وسلم - .

صاحب سعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قراية عشرين عاماً ، وكان له موقفٌ يوم حجة الوداع ،
فبعد أن أتم مناسك الحجّ مرضَ مرضاً شديداً .

فزاره - صلى الله عليه وسلم - في داره ، فسأله

سعد : يا رسول الله إني ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنةٌ واحدة ، أفأصدقُ بثُلثي مالى ؟

قال النبي : لا . قال سعد فبنصفه ؟ قال النبي : لا . قال فبثلثه ؟ قال النبي : نعم ، والثُلثُ كثير . إنك إن تَزَرَ ورثتك أغنياء ، خيرٌ من أن تَزَرهم عالةٌ يتكفّفون الناس .

قال حُسام : أهذه الدرجة كان مُنفقاً في سبيلِ الله ؟ قالت أمّه : كان سعدٌ غنياً بارك الله له في رزقه ووسّع تجارتَه . فكان ماله حلالاً لا غبارَ عليه ، وكان لا ينسى حقَّ الله في ماله .

قال حُسام : وماذا عنه أيضاً يا أُمّي ؟ إن سيرته عطرةٌ مليئةٌ بالمواقفِ والأحداثِ العظيمة .

قالت أمّه : وهناك المزيدُ يا ولدى ، فليُسرِّدِ الفضلُ في فتحِ بلادِ فارسٍ ودُخولِ الإسلامِ إليها . ففي عهدِ الخليفةِ عمرَ بنِ الخطّابِ واقعةٌ ، تدلُّ على قوّةِ إيمانِ

وصبر ومثابرة لا حدود لها . فقد انتشر التمرد والعصيان في بلاد العراق ، وزادت هجمات الفرس على المسلمين . وكانت معركة « الجسر » التي راح ضحيتها أربعة آلاف شهيد من المسلمين في يوم واحد ، فقرّر الخليفة أن يذهب إليهم بنفسه على رأس جيش ، ليحفظ للإسلام هيئته .

ولكن بعض الصحابة رأوا من الأفضل أن يبقى الخليفة عمر في المدينة ، وأن يرسل من ينوب عنه في تلك المهمة . فكان سعد هو من وقع عليه الاختيار .

* * *

خرج سعد في جيش عدته ثلاثون ألف مقاتل ، أسلحتهم الرماح والسيوف ، ولكن في قلوبهم إيمان يذيب الصخور . خرجوا ليلاقوا مائة ألف مقاتل من الفرس في كامل عدتهم وعتادهم ، يقودهم رستم أعظم قوادهم وأشهرهم .

وأشار الخليفة - عمر بن الخطاب - على سعد أن
يبعث إليهم أولاً من يدعوهم إلى الإسلام ، ولكن
الغرور والكفر أعميا أبصار الفرس ، فكان ردُّهم : هي
الحرب تفصل بيننا وبينكم .

هنالك يظهر موقف سعد العظيم ، وتظهر قوَّة إيمانه
وثقته بنصر الله له . فكيف له أن يخوض حرباً ضارية
مثل هذه وقد تمكَّن منه المرض ؟ كيف وقد ملأت
الدَّمَاميلُ جسْمه تنزِفُ دَمًا وقَيْحًا ؟

ولكنه بإيمانٍ راسخٍ وقوَّةٍ عزيمةٍ جبَّارة ، تحامل على
نفسه وصلى صلاة الظهر بجُنوده ، ثم كبر أربع
تكبيراتٍ كانت إيذاناً ببَدْءِ معركة القادِسيَّة ، أو بَدْءِ
الصَّاعِقَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِالْفُرسِ وقضت على عبادة النار .

وطارد جيش المسلمين جُنود الفرس الفارَّين حتَّى
نهاوند والمدائن - وفي المدائن أظهر جيش المسلمين
شجاعةً وإقداماً لا مثيلَ لهما . إذ كان نهر دجلة بين

المسلمين والفرس وكان موسمُ فيضان النهر . فأمر سعدُ
جُنودَه بعبورِ النهر . وكما دخلت الجُنودُ النهرَ خرجت
مِنه سالمةٌ لم تفقد ولا شَكِمةَ فرسٍ — الحديدَ المعترضةَ
فى فمِ الفرسِ — . فقد كانوا يعبرون النهرَ آمِنين مُطمئنين ،
كما لو كانوا يسيرون على الأرض .

* * *

وتولَّى سعدٌ إمارةَ بلادِ العراق ، وأعادَ بناءَها
وتعميرَها ، وعملَ على إرساءِ قواعدِ الإسلامِ فيها .
ولكن حدثَ أن تأمرَ أهلِ الكوفةِ على سعدٍ ، فبعثوا
إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ يقولون إنَّ سعدًا لا يُحسنُ
الصَّلاةَ . فبِزُكِّ سعدٍ العراقَ ويعودُ إلى المدينة ، ويأبى
أن يعودَ إلى العراقِ مرَّةً ثانيةً .

ويقضى ما بقى من عُمرِه فى المدينة مُعتزلاً النَّاسَ
والفِتَنَ والنَّزاعاتِ على الخلافةِ ، حتى لَقِيَ رَبَّهُ وقد
تَخَطَّى الثَّمانينَ من عُمرِه ، آمِنًا مُطمئِنًا واثقًا بتبشيرِ

الرَّسُولِ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وفى حالة النِّزَعِ يَطْلُبُ سَعْدٌ مِنْ بَنِيهِ أَنْ يُكْفَنُوهُ فِي
ثَوْبٍ قَدِيمٍ بَالٍ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : لَقَدْ لَقِيتُ الْكُفَّارَ يَوْمَ
بَدْرٍ بِهَذَا الثَّوْبِ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ كَفْنًا لِي .

وهكذا ماتَ سَعْدٌ بِطُلِّ الْقَادِسِيَّةِ ، فَاتَّحَ الْمَدَائِنُ ،
مُطْفِئُ النَّارِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا أَهْلُ فَارِسَ .

* * *

وما أَنْ انْتَهَتْ أُمُّ حُسَامٍ مِنْ قِصَّةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ،
حَتَّى قَفَزَ حُسَامٌ مِنْ سَرِيرِهِ بِخَفَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَقَالَ : هَيَّا
يَا أُمِّي حَتَّى لَا نَتَأَخَّرَ عَنْ زِيَارَةِ خَالَتِي الْمَرِيضَةِ .
قَالَتْ أُمُّهُ : وَقَدُمُكَ أَلَا تُؤَلِّمُكَ ؟

قَالَ حُسَامٌ : إِنَّ زِيَارَةَ الْمَرِيضِ وَاجِبَةٌ يَا أُمِّي ، وَيَجِبُ
أَلَّا تَمْنَعَنَا أَشْيَاءَ بَسِيطَةً مِثْلُ هَذِهِ عَنْ أَدَاءِ الْوَاجِبِ .